

الغدير

[37] الود ما بقي العتاب) وفيما عاتبت كفاية عند من له أذنك الواعية وعينك الراجعة. 4 وقال في تفضيل النرجس على الورد: النرجس يشبه الأعين والمضاحك، والورد يشبه الخدود، والأعين والمضاحك أشرف من الخدود، وشبيهه الأشرف أشرف من شبيهه الأدنى، والورد صفة لأنه لون والنرجس يضارعه في هذا الاسم، لأن النرجس هو الريحان الوارد أعني أنه أبدا في الماء، والورد وجل، والنرجس مبتسم، وانظر أدناهما شيها بالعيون فهو أفضل. هذه نماذج من منثوراته لا نعرف غيرها فيما بين أيدينا، وخليق بمن يكتب بهذا الأسلوب أن يعد في بلغاء الكتاب وإن لم يعد في أبلغهم، على أن ابن الرومي لم يكن يحسب نفسه إلا مع الشعراء إذا اختلفت الطوائف، فإنه يقول عن نفسه وهو يمدح أبا الحسين كاتب ابن أبي الإصبع: ونحن معاشر الشعراء تنمى * إلى نسب من الكتاب دان وإن كانوا أحق بكل فضل * وأبلغ باللسان وبالبيان أبونا عند نسبتنا أبوهم * عطارد السماوي المكان أما حظه من علوم العربية والدين فمن المفضل أن نتعرض لإحصاء الشواهد عليه في كلامه، لأنه أبين من أن يحتاج إلى تبين. وندر في قصائده المطولة أو الموجزة قصيدة تقرأها ولا تخرج منها وأنت موقن باستبحار ناظمها في اللغة وإحاطته الواسعة بغريب مفرداتها وأوزان اشتقاقها وتصريفها وموقع أمثالها وأسماء مشاهرها، وما يصحب ذلك من أحكام في الدين ومقتبسات من أدب القرآن، فليس في شعر العربية من تبدو هذه الشواهد في كلامه بهذه الغزارة والدقة غير شاعرين اثنين: أحدهما صاحبنا والثاني المعري، وقد كان يمدح الرؤساء والأدباء أمثال عبيد الله بن عبد الله، وعلي بن يحيى، وإسماعيل بن بلبل فيفسر غريب كلماته في القرطاس الذي يثبت فيه قصائده كأنه كان يشفق أن تفوتهم دقائق لفظه وأسرار لغته ثم يعود إلى الاعتذار من ذلك إذا أنس منهم الجفوة والتغير. لم أفسر غريبها لك لكن * لامرئ يجهل الغريب سواكا لغيرك لا لك التفسير أنى * يفسر لابن بجدتها الغريب
